

التقريب والإصطلاح*

للدكتور

أحمد عبد الستار الجوّاري

به من مفاهيم وأفكار جديدة ان ملاحقة ما يصدر من تلك المفاهيم والمسميات يقتضى عملا دائما متصلا لا يفتر ولا يتوانى ولا يتوقف بحال من الاحوال . ولذلك تراهم يشكون من تباطؤ الهيئات والمؤسسات العلمية ولاسيما الجامع اللغوية التى هى المسؤولة اولا واخيرا عن اللحاق بركب التقدم العلمى فى العالم حتى لا يلتقى على اللغة العربية جريرة التخلف والعجز عن استيعاب العلوم والفاظها ومفاهيمها ومصطلحاتها .

وكثيرا ما يشكو هؤلاء من اختلاف الاقطار فى وضع مصطلحات العلوم او تعريبها على الاصح ، وينادون فى لهفة ونفاد صبر بلزوم العمل على توحيد المصطلح وتلاقى الجهود المشتتة بين الاقطار العربية وتوجيهها وجهة واحدة حتى لا تتبلبل الافكار ويضيع الدارسون فى تيه من السبل المتفرقة .

ومعلوم ان تفرق السبل يأتى من تفرق الاجتهاد وتنوع اساليبه والاسس التى عليها يستند . فمن الناس من يجعل المعاجم وما بين دفتيها من الفاظ جل وكسده وغاية همه ويرى فى الخروج عليها عبثا باللغة وانثاقا على اصولها .

ومنهم من يذهب الى ان الفاظ العلوم الحديثة جديدة على العربية طارئة عليها فلا يعقل ان ينتقب عما يقابلها فى المعاجم . حتى اذا وجد ذلك وجده بعيدا عن اذهان المتخصصين والدارسين ، بعيدا عن القدرة على

قد يتسائل كثير من الناس ماذا نصنع تجاه هذا السيل الفزير المتدفق من مصطلحات العلوم فى فروعها المنعددة وميادينها المختلفة ؟ انلجا الى قبول الالفاظ كما هى فى اللغات الاجنبية اكتفاء بها ودفعا لمشقة البحث عما يقابلها فى العربية ؟ ام نعود الى المعاجم نستنبط منها الفاظا قريبة فى معانيها من معانى تلك المصطلحات او موصولة الاسباب بتلك المعانى ونسج على سبيل الدلالة المجازية ؟ ام نتحرى الفصاحة والاصالة ونلتمس فى قديم الالفاظ ومهجورها ما يتصل بتلك المعانى ولو باوهى الاسباب .

اسئلة يطرحها كل يوم واقع الحياة الفكرية المتجددة التى يتسارع سيرها حتى لا يكاد التأمل والتفكير يلاحقها او يلحق بها .

وفوق كل ذلك يقوم سؤال كبير خطير الدلالة والايحاء .

هذا السؤال هو : كيف يمكن للعربية ان تبرز للحياة الفكرية المعاصرة فتستوعب ما تطلع به من جديد كل يوم ؟ وكيف يمكن العمل على اثراء الفكر العربى بالمفاهيم الجديدة ومدلولاتها ومعانيها بان يوضع لتلك المفاهيم الفاظ عربية يحس معانيها ويدرك مدلولها ، العربى الذى يتحدث العربية سواء كان مختصا معنيا بالعلم ام كان آخذا بحظ من الثقافة العامة ؟

يقول الذين يتبعون ما يكشف عنه العلم وما يطلع

* عن مجلة المجمع العلمى المراتى المجلد السابع والعشرون 1976 .

النفاز في صميم الفكر العلمي ، عاجزا عن أن يفرض نفسه على الناس بديلا للمصطلح الاجنبي . وبين هؤلاء وأولئك تضييع على الفكر العربي فرص ثمينة وتزداد مشكلات التعليم بالعربية تعقيدا على تعقيد .

لا بد اذن من وسيلة أو وسائل يحل بها هذا التناقض ويبلغ بها المعنيون بأمر المصطلح العلمي محجة واضحة لاخلاف على الالتزام بها والالتقاء في رحابها بدءا وانتهاء .

ولا بد لهذه المحجة الواضحة من معالم شاخصة يهتدى بها السالكون . ولعل من أهم هذه المعالم أن يكف الاساتذة المختصون باللغة عن ايثار الحوشي من الالفاظ مما لم يُعَد له في الحياة الفكرية المعاصرة مكان ، وأن يعمدوا الى ما يسهل النطق به على الدارسين وما يصل من حياتهم العقلية وحياتهم الحضارية بسبب ، وفي ذلك اقتصاد في الجهد وتأكيد للبقاء والامتزاج بالفكر . لان الفكر اذا استوحش لفظا او عبارة فانه لا يلبث ان يحاول نفيها والتخلص منها ، فاذا اتحمت عليه فقبلها ؛ قبلها كارها لها غير مرحب بها وغير انيس بصحبتها .

واللفظ الانيس سريع الوصول الى الفكر تسهل عليه العشرة وتلذذ بها الصعبة ، ولنا في ما اصطلح عليه الكتاب الحكيم من الفاظ في العبادة كالصلاة والزكاة والبر والصدقة ، وفي التشريع كالمعتود والمواثيق ونحوها ، احسن اسوة في تخير الالفاظ التي يسهلها للسان ويانس بها الفكر .

ولقد عاشت تلك الالفاظ وخلدت حتى اصبحت جزءا من حياة الناس سواء في ذلك من اتخذ منها طريقا للحياة ام لم يكن كذلك .

ومن أهم تلك المعالم ان يعمل واضعو الاصطلاح الى اساليب في اثناء اللغة واغنائها بأبنية جديدة لا ياباها البناء العربي للالفاظ وان لم ترد بمعانيها الجديدة في معارج اللغة وفي مظانها الاخرى .

وبيان ذلك ان الفاظا في اللغات الحديثة تشبه في بنائها وترتيب حروفها ابنية عربية وردت لمان اخرى بعيدة عن معانيها أو قريبة . مثل لفظ (الكادر) الذي لم يعد ممكنا استبعاده من الاستعمال أو استبدال لفظ آخر به للدلالة على ما يدل عليه من معنى . مادته اللغوية موجودة ولفظه لا ياباها اللسان العربي ولا تنبو عنه الاذن ولكن مدلوله ومعناه شيء آخر مختلف عن

معناه في العربية . ماذا يمنع المعاصرين من ان يضيفوه الى الفاظ الحضارة الحديثة ولو عملا بقول القائل :
« اذا كنت مأكول الطعام فرحب »

ومثل ذلك لفظ (الكبينة) للدلالة على الحجر الصغيرة التي تقام لحاجات معروفة ككبينة الهاتف وكبينة الاستعلامات ونحو ذلك . وأمر هذه اللفظة اهون وايسر فان مدلولها اللغوي قريب من المدلول السدى تستعمل له في أيامنا هذه ، ومثلها المكينة .

واذا كانت العربية قد عرفت في عصور ازدهار الحضارة ما يقال له المولد من الالفاظ فان هذا العصر وما يجد فيه أولى وأجدر بان يحمل أهل اللغة على توليد الالفاظ مما لا ياباها البناء العربي للالفاظ ، فيكون في ذلك اثناء للغة ومواكبة لما يستحدث من مفاهيم في العلم وفي سائر فروع الحياة والحضارة .

على أن ثمة أمرا آخر يشير الى مقدار ما تركت العربية من آثار في اللغات القديمة كالاغريقية واللاتينية . فان كثيرا من الالفاظ والاصطلاحات العلمية قد نقلت عن العربية الى هاتين اللغتين وصار الذين أخذوها من أهل اللغات الحديثة ينسبوننها الى الاغريقية أو اللاتينية وهم يجهلون الاصل الذي اليه تعود .

من هذه الكلمات ما يعرف في علوم الطب والوراثة بـ (Gyamate) وهو عنصر الاخصاب في مادة التناسل . ومن العجيب ان معارج اللغات الاوربية تنسبه الى الاغريقية . والاعجب ان لفظ (تمط) يستعمل للدلالة على هذا المعنى حتى في اللهجة العامية المراتية . ومن يرجع الى المعارج العربية يجد التعميط بهذا المعنى العلمي أو قريبا منه . وهو لهذا جدير بان يأخذ مكانه في مصطلحات العلوم .

ومثله في هذا الباب الفاظ عديدة يكفى ان يلتقى فيها البناء اللفظي في اللغة الاجنبية مع مثله في العربية . كالنقرة (Nicrosis) والاكمة و (Acme) للدلالة على نفس معانيها أو قريب من تلك المعاني . ولا غبار على هذا الاسلوب في التعريب فقد قال اسلافنا تولتهم المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) .

ان ثمة حقيقة ماثلة شاخصة لا سبيل الى التفاضى عنها وهي ان اللغة العربية لغة شقيقة كبرى من الوجهة الحضارية والثقافية والفكرية للغات الاسلامية كالفارسية والاوردية والتركية وامثالها مما تعلق به

اسلوب العمل حتى تتدارك ما فات وتلحق ان شاء الله
بها هو آت .

وعليها أن تتجنب ما توغر سبيله على الدارسين
وما استثقلته الالسنه وعافه الاستعمال من غريب اللفظ
وحوشيه . وان لا تؤثر ما يؤثره بعض المتخصصين من
نقل الالفاظ الاجنبية كما هي ضنا بالجهد في البحث عن
الفاظ عربية سائفة مقبولة بل صدودا عن مزايا العربية
وقدراتها في الاشتقاق والتصريف وفي اتباع سبيل
السلف في اخذهم بأساليب موفقة كل التوفيق في اكتشاف
المصطلح كاضافة السوابق واللواحق واستعمال
المصدر الصناعي باضافة ياء النسب متبوعة بهاء التانيث .
فقد قالوا اللانهائية والقدرية والجبرية ونحو ذلك كثير .

ان جهودا قيمة في هذا الميدان قام بها ويقوم بها
المختصون من الجمعيين وغيرهم ، لو جمعت لخرج منها
ثروة فكرية واسعة ضخمة ، ولو ان هؤلاء الاماضل
تلاقوا على اساليب العمل واهدافه وضموا الجهود
بعضها الى بعض لقدموا الى الفكر العربي خدمة جليلة .

ولو انهم عمقوا الشعور بالحاجة الى المصطلح
العربي ليكون أداة العمل العلمي العربي المعاصر لبلغوا
من هذا الامر فوق ما بلغوا حتى الآن . واذا صدق العزم
وضح السبيل .

شموب اسلامية يتلى فيها كتاب الله العزيز آتاء الليل
واطراف النهار . وهذه اللغات تنظر وتنتظر ما يفعله
العرب بالاصطلاحات العلمية حتى تفسح له في لغاتها
مكانا ومجالا للتداول والاستعمال . وأي تباطؤ أو تكلؤ
أو اهمال يصرف هذه اللغات الشقيقة الى اللغات
الاجنبية . وهي قد تكون اقرب اليها نسبا ولكن العربية
قد اصبحت جزءا منها فكرا وعقيدة وثقافة وحضارة .

وبعد فان الاصطلاح العلمي ما عاد امره مقصورا
على المختصين في ميادين العلم والمعرفة ، لغة يرطنون
بها في معزل عن المجتمع الواسع الذي يعيشون فيه .
ويمارسون فيه علاقات انسانية فكرية وشعورية ، وهو
يتسم اليوم بالفتح والانطلاق ويأبى على اهل العلم
والمعرفة ان يكونوا طبقة متميزة محدودة الصلة بمن
حولها من الناس . وصار لزاما عليهم ان ينهضوا بجانب
من تبعات الثقافة العامة التي يتشوف اليها كل مواطن
اصاب حظا من التعليم العام يتطلع من خلاله الى
الاحاطة بما يدور حوله في هذا العالم من تقدم العلم
والتقنية الحديثة .

واذن فان تضية التعريب والاصطلاح وظيفية
علمية اجتماعية لا بد ان تحظى بالناية اللازمة والاهتمام
الكبير . ويحسن بالجامع اللغوية بل يلزمها ان تتذكر
هذا الامر المهم لتقيم اساسا لعمل موحد وترسم